العرب
الجمعة 2021/03/05
السنة 43 العدد 11990

وهم فائض قوة حركة النهضة يتحول إلى هستيريا

حزب الغنوشي يحاول يائسا البحث عن اصطفافات جديدة لتغيير موازين القوى

لا تتوانى حركة النهضة الإسلامية في تجميل نفاقها السياسي بخصوص الأزمة السياسية التي تعيشها تونس منذ أسابيع، وهو ما بدا واضحا في تصريحات قياديها وانعكس في المحاولات اليائسة لحزب راشد الغنوشي بحثا عن اصطفافات جديدة لتغيير المعادلة من قاعدة وهم فائض القوة الذي تحول إلى هستيريا داخل صفوف الحركة.

الجمعي قاسمي
صحافي تونسي

تونس - لم يكن التصعيد السياسي الذي دخلته حركة النهضة الإسلامية برئاسة راشد الغنوشي ضد الرئيس قيس سعيد وبقية الأحزاب والقوى الوطنية الأخرى، مباشرة بعد المسيرة التي نظمتها بشارع محمد الخامس وسط العاصمة تونس، الأول من نوعه ولن يكون الأخير بالنظر إلى وهم فائض القوة الذي ينتابها، مع الإضافات التي اقتضتها طبيعة المرحلة في علاقة بأزمة المسار الحكومي.

> درجة النفاق بتصريحات مسؤولي النهضة تتصاعد مع احتدام المزايدات وفق حسابات لا تبالي بتداعياتها على المشهد

وبدا هذا التصعيد المُثير في عناوينه والخطير في تفاصيله التي تؤشر في حدها الأدنى على نوع من الرغبة في ضرب الأمن والاستقرار في البلاد، خصوصا حين تكون أصوات البعض من مسؤولي الحركة قد تجاوزت الاستفزاز إلى مربعات التجريح بمفردات تتعارض مع منطق الأحداث وتطوراتها، مقدمة لمحاولة فرض معادلات جديدة للصراع الدائر حاليا بين الرئاسات الثلاث.

نفاق مسؤولي النهضة

حملت تلك الاستفزازات التي جاءت على لسان رفيق عبدالسلام، صهر راشد الغنوشي، عوامل مغالطاتها بدليل أن كل ما تم تداوله حتى اللحظة لا يعدو في مساره الأساسي أن يكون مجرد محاولات تشكيك في جزء منها، ومرتبكة في بعضها الآخر، برسائل تستهدف تعطيل التوصل إلى حلول للمأزق الراهن، وفي الحد الأدنى منها عرقلتها.

ويمكن فهم ذلك التشكيك والارتباك من خلال تدوينات فيسبوكية كتبها عبدالسلام جاء في آخر واحدة منها أنه "في ظرف شهر واحد صدرت من قصر قرطاج كذبتان كبيرتان، الأولى كذبة الرسالة المسمومة والثانية كذبة اللقاح، وغياب الشفافية.. نحن إذًا لسنا إزاء الصادق الصدوق، أو إزاء عمر بن الخطاب، بل نحن إزاء كذب يصدر من قصر قرطاج".

وفي سياق آخر تحدث عبدالسلام عن المدينة الصحية بمدينة القيروان التي تعهد الرئيس قيس سعيد بإحداثها قائلا "هذه كذبة أخرى وبيع للأوهام.. نتمنى أن يتم إحداثها لكن ليس هناك آليات ولا تمويلات لذلك وهي كذبة كبيرة.. ومن ينتظر حلا من قيس سعيد كمن ينتظر العسل من ذكر النحل".

ولم يكتف بذلك التجريح والتشكيك في مصداقية الرئيس قيس سعيد وإنما ذهب إلى حد اتهامه بإثارة الفتنة والانقسام، حيث كتب في تدوينة له "الواضح اليوم أن لدينا رئيسا لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه في عالم السياسة شيئا، وهو يعيش في كوكب آخر كما ذكر.. نحن ننادي بالحوار ووحدة التونسيين، وهو لا يكف عن إثارة خطاب الفتنة والانقسام".

وبالتوازي مع ذلك واصل مسؤولو هذه الحركة المحسوبة على جماعة الإخوان المسلمين إطلاق التصريحات بأصوات تعالت وسط ضجيج لا يهدأ منذ تلك المسيرة، وعكست ازدواجية مفضوحة في الخطاب، ونفاقا سياسيا ارتقى إلى درجة الخبث الذي تجلى بوضوح في تصريحات الناطق الرسمي باسمها فتحي العيادي الذي سعى فيها إلى التركيز على زاوية دون غيرها، وذلك في محاولة للإيهام بأن حركته تدعم الاستقرار في البلاد.

وجدد العيادي في تصريحات بثتها الثلاثاء الماضي إذاعة "شمس أف.أم" المحلية التأكيد على "تمسك النهضة بدعم رئيس الحكومة هشام المشيشي في خلافاته مع الرئيس قيس سعيد، وهي بذلك ليست مع رحيل الحكومة الحالية، ولا تقبل بإقالة رئيسها ولن تتخلى عنه".

وأضاف بلهجة لا تخلو من الاستفزاز أنه على قيس سعيد "إذا رغب في إقالة المشيشي ورحيل حكومته تطبيق الإجراءات الدستورية والتوجه إلى البرلمان لطلب تجديد الثقة في هذه الحكومة".

ويُعد هذا الموقف المشحون بنوع من التكبر، الذي يأتي بعد المسيرة التي نظمتها حركة النهضة، تصعيدا سياسيا من شأنه تأجيج الخلافات بين المشيشي الذي يتمسك بشرعيته وبقانونية التعديل الوزاري الذي أجراه وقيس سعيد الذي يرفض أداء الوزراء الجدد الذين شملهم التعديل الوزاري اليمين الدستورية أمامه.

> النهضة وحلفاؤها جعلوا من أي حوار محتمل أمرا صعبا بعد إصرارهم على اعتماد منطق المغالبة وتثبيت الأمر الواقع

مع ذلك ترتفع درجة النفاق في تصريحات مسؤولي حركة النهضة، وتحتدم المزايدات وفق حسابات وموازين لا تأخذ بعين الاعتبار نتائج وتداعيات ذلك على مجمل المشهد السياسي في البلاد الذي بات يتدحرج نحو مربعات خطيرة أصبح فيها الرهان على الخروج منها مشتتا بالتساوي بين وهم فائض القوة لدى حركة النهضة ومحاولات الاصطفاف الجديدة للقوى الوسطية بحثا عن معادلات جديدة لتغيير موازين القوى.

كسر هيمنة النهضة

يندرج الاجتماع التشاوري الذي عُقد مساء الثلاثاء الماضي بمقر حزب "الأمل" برئاسة الوزيرة السابقة سلمى اللومي في سياق هذه المحاولات التي تستهدف بلورة خطة للخروج من الأزمة التي تعاني منها البلاد، وإيجاد توازن سياسي وحزبي قادر على كسر هيمنة حركة النهضة، لاسيما وأنه عرف مشاركة ممثلين عن سبعة أحزاب، إلى جانب وزراء سابقين منهم عبدالكريم الزبيدي والأزهر القروي الشابي ومصطفى كمال النابلي وفاضل محفوظ.

ورغم محدودية هذه المحاولة فإنها أثارت قلق حركة النهضة التي تخشى تبدل موازين القوى؛ حيث سارع عبدالكريم الهاروني رئيس مجلس الشورى إلى ترويج أن حركته دخلت هي الأخرى في اتصالات ومشاورات مع عدد من الأحزاب الأخرى، منها حزب التيار الديمقراطي وحركة الشعب، وذلك للإيحاء بان حركته ليست معزولة في محيطها السياسي والحزبي.

غير أن هذه المحاولة زادت في عزلة حركة النهضة؛ حيث سارع زهير المغزاوي، الأمين العام لحركة الشعب والمتحالف مع حزب التيار الديمقراطي، إلى نفي ما أعلنه الهاروني، إذ أكد في تصريحات بثتها إذاعة "موزاييك أف.أم" المحلية أنه لا وجود للقاءات أو حوارات سواء أكانت رسمية أو غير رسمية بين حركته وحركة النهضة لإيجاد توافقات حول الأزمة الراهنة.

ولفت المغزاوي إلى أن حركته رفضت عقد لقاءات مع النهضة، كاشفا أن وسطاء اتصلوا بحركته وعرضوا عقد لقاءات مع حركة النهضة للتحاور ولإيجاد حلول للأزمة السياسية، حيث ردت حركة الشعب بالرفض لأن النهضة وحلفاءها جعلوا الحوار صعبا بعد إصرارهم على اعتماد منطق المغالبة وتثبيت الأمر الواقع.

ورغم هذا الصد الواضح تواصل حركة النهضة تصعيدها برسائل تعكس ضمنيا حالات الارتباك والقلق التي تنتابها نتيجة الوضع التي وصلت إليه، وتحاول الترويج لبعض المقاربات التي تبدو خارج السياق العام للتطورات السياسية بعناوينها المختلفة، لأنها مدفوعة بحسابات مُخادعة بُنيت على مغالطات مُتراكمة، لم يعد بالإمكان الرهان عليها مُجديا مهما كان حجم الحشد والتحشيد في الشارع.

عنوان الفشل السياسي

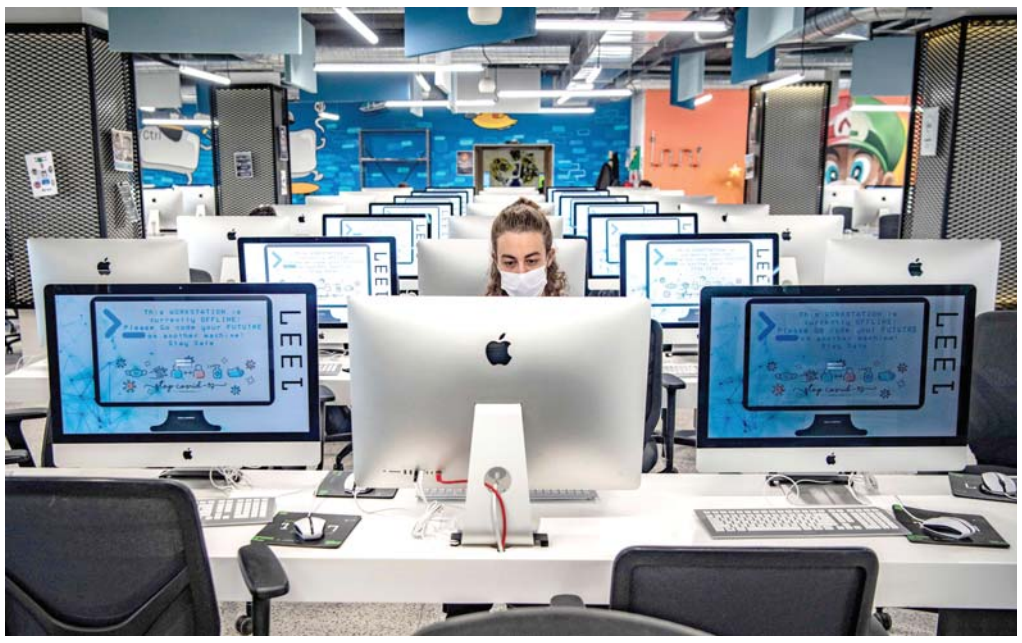

أين العرب من «نهم الكفاءة»؟

حسن إسميك
كاتب أردني

قد يستغرب بعضُ القراء ممن يتابعون كتاباتي كيف وقع اختياري على مفهوم "الكفاءة"! لقد عودتهم الابتعاد في العموم عن المواضيع التقليدية، والخوض في غمار المسائل والأفكار الجدلية. وها أنا أتناول مفهوماً قد يبدو معروفاً بالنسبة إلى معظمنا.

لكن دعونا لا نتوقف عند الانطباع الأول للمصطلح، ولنتجاهل معانيه المألوفة التي تبلورت ضمن سياقاتنا المعرفية وخبراتنا السابقة عنه، ومفادها أنه ضرورة لا جدال حولها، وأنه يجب أن يتمتع بها الجميع أثناء تأديتهم للعمل. باختصار، لنترك السهل في تعاطينا مع المفهوم ونتصدَّ للممتنع فيه، أي "نهم" الكفاءة.

كان نهم الكفاءة هو المحرك الخفي للنشاط البشري منذ فجر الخليقة، ومع تقدم مجتمعاتنا صرنا مهووسين بالإنجاز. وأوضح دليل على ذلك هو كمّ النصائح والتوجيهات المنتشرة على صفحات الكتب والمجلات ومواقع الإنترنت التي تقدم أطناناً من الأفكار و"الحيل والأسرار" التي تساعدنا على إنجاز المزيد.

أضف إلى ذلك كمّ التطبيقات الذكية التي تعيننا على تنظيم مواعيدنا وإتمام مهامنا واستثمار وقتنا بالكامل. تشكل هذه البرمجيات الإنتاجية (Productivity Apps) صناعة قائمة بذاتها تتنامى بوتيرة سريعة، حتى أن قيمتها باتت تُقدر بحوالي 90 مليار دولار في العام الحالي في الولايات المتحدة وحدها، وفقاً لأرقام صادرة عن آيبس وورلد، التي تعتبر أكبر قاعدة بيانات لأبحاث الصناعة والسوق.

لا يمكن تحديد لحظة تاريخية معينة يمكن اعتبارها نقطة البدء التي ظهرت فيها هذه النزعة إلى تحقيق أكبر قدر ممكن من الكفاءة. لكنني سأغامر بإرجاعها إلى الاقتصادي آدم سميث الذي قال، خلافاً لمن سبقوه، إن العمل المنتج هو المقياس الحقيقي لثروة الأمم، ودعا إلى التخصص في الإنتاج على المستوى الدولي بحسب الميزات النسبية والمطلقة، من أجل زيادة الكفاءة ومعها كمّ السلع المنتَجة، وبالتالي رفع مستوى الرفاهية في العالم.

وفي مجتمع التكنولوجيا، التي بدأت بالظهور بالتزامن مع الثورة الصناعية، واستبدال معظم طرق الإنتاج اليدوية التقليدية بأخرى مُمكننة ومُؤتمتة صارت الكفاءة أولوية قصوى. لقد أنتجت هذه الثورة أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر حالة من "الجنون" لإنتاج المزيد بسرعة أكبر. والمجتمعات الرقمية التي تعتمد تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في كل مناحي الحياة هي بالأساس وليدة "نهم الكفاءة".

في هذا السياق لا يمكننا أن نغفل أن لنهم الكفاءة وجههُ المظلم، فالإنسان الذي بحث عن الكفاءة يوماً والتمتع بفترات أطول من الراحة بات اليوم يستهلك من وقته ليشبع نهمه إلى الكفاءة، فتحول العمل بحد ذاته إلى قيمة انفصلت عن هدفه الأسمى منه وهو تحقيق النفع الخاص والعام.

أما على مستوى الدول فيظهر الجانب الأسود للبحث الدائب عن الكفاءة حين يتعلق الأمر بموضوع التسلح مثلاً. ورغم أن القرن العشرين قد عانى من حربين عالميتين بالإضافة إلى الكساد العظيم ظلت "الكفاءة" ذات أهمية محورية حين يتصل الأمر بتصنيع السلاح والسلع اللازمة لدعم الجهود العسكرية، وذلك قبل تصنيع أي من الحاجات البشرية المتزايدة.

واليوم، ونتيجة "نهمنا إلى الكفاءة"، نكاد ننقل "حرب النجوم" من عالم الأفلام إلى أرض الواقع، فقد بدأت بالفعل عسكرة الفضاء منذ أيام الحرب الباردة.

في القرية الكونية التي نعيش فيها، ورغم أن الاقتصاد يوفر لبعض الدول القوة الناعمة التي تتيح لها السيطرة على دول أخرى دون إراقة قطرة دم واحدة، مازلنا نبحث عن المزيد من الكفاءة على صعيد صناعة الأسلحة الفتاكة، الأمر الذي يؤكد وجود جانب عدواني لـ"نهم الكفاءة" في المجتمعات المتقدمة رقمياً، يقابل الجانب العدواني للبشر. وليس من المبالغة القول إن الجنس البشري في المجتمعات الرقمية يسعى لاختراع أكفأ الأدوات لإبادة نفسه، بدلاً من أن يسعى لتحقيق السعادة التي ينشدها!

لكن ماذا عن المجتمعات غير الرقمية، التي لم تلحق بعد بركب التقدم، في سباق التطور التكنولوجي؟ ماذا عنّا نحن العرب؟

في حين بات "نهم الكفاءة" يتحول إلى مشكلة في المجتمعات الغربية لازلنا في العالم العربي، أو في معظمه، نفتقر إلى أدنى مستويات الكفاءة، ما يسبب لنا أزمة معقدة وعلى مستويات متعددة. يزخر العالم العربي بأصحاب الكفاءة العالية، لكن معظم هؤلاء يقعون ضحايا للبيروقراطية والنزعة التقليدية في مجتمعات تشكو عدم الاستقرار وترزح تحت سيطرة أنظمة متسلطة، فيستسلمون لها أو يهاجرون.

ليست خسارة "الأكفاء" هي الوجه الوحيد لمشكلتنا في العالم العربي، بل نحن نعاني أيضاً جراء وقوعنا ضحية لـ"نهم الآخر للكفاءة" في الغرب على وجه التحديد. هكذا نقضي ساعات طويلة في مشاهدة برامجهم التلفزيونية وأفلامهم المذهلة، ونصرف معظم يومنا على وسائل التواصل الاجتماعي، وهي أبرز نتاجات المجتمعات الرقمية، ونسارع لشراء أحدث الأجهزة الذكية والكمبيوترات وحتى الألعاب المتطورة تكنولوجياً، ولعل بعضنا يعطيها أولوية حتى على الطعام والشراب.

هذا يعني أننا لم نأخذ من التقانة إلا قشورها ولم تخلصنا الثورة التكنولوجية من مشكلاتنا ومن فقرنا، بل حولت أغلبنا إلى فقراء يمتلكون هواتف ذكية!

لا نمتلك كعرب اليوم ترف التفكير بالأوجه السلبية للسعي المحموم إلى تحقيق الكفاءة، فنحن لم نحقق بعد أدنى مستوياتها، بل نحتاج أن نعمل ونجدّ ونبذل قصارى الجهد ونستثمر الوقت كله، فالزمن لن يقف لانتظارنا. وخلافاً للغرب، علينا أن نزيد سرعتنا على الصعيد الفردي، لأن متطلبات الحياة تفرض علينا ذلك ولأن الله عز وجل كلفنا بالعمل في كتابه قائلاً "وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ"، كما أن رسول الله عليه الصّلاة والسّلام قال "إنّ اللهَ تعالى يُحِبُّ إذا عمِلَ أحدُكمْ عملًا أنْ يُتقِنَهُ" فكأنه يوصينا بالكفاءة.

أما على مستوى الدول والحكومات فيجب أن نسرع في تحقيق السلام في منطقتنا، لأن الاستقرار وبالتالي الإنجاز دون سلام هما من رابع المستحيلات. كما نحتاج إلى الاستثمار في مواهب الشباب العربي وقدرته على خدمة الأوطان، وإلى الانفتاح على الآخر، سياسيا واجتماعيا، لنشاركه معرفته ونوطنها في بلداننا قدر الإمكان ونعمل على تطويرها بما يناسب احتياجاتنا، لأن السباق الحضاري محموم وقاس لا يسمح بالتقاعس ولا يعطي الكثير من الفرص.

> البحث عن الكفاءة هو سلاح ذو حدين، ولاسيما في عالمنا الذي يشهد سباقا على صناعة آلات الدمار، كما تعاني مجتمعاته الغارقة في سبات الماضي من التسليع. مع ذلك نحن العرب أحوج ما نكون إلى نهم الكفاءة كي نلحق بركب الأمم